العرب
الخميس 2021/01/14
السنة 43 العدد 11940

كورونا والشتاء القارس يطبقان على رزق رعاة الأغنام في المغرب

غلاء أسعار العلف وتراجع المبيعات يهددان مهنة الرعي بالاندثار

يتراجع الإقبال على مهنة رعي الأغنام في المغرب من قبل الشباب. ويبدو أن من تبقى من هؤلاء الرعاة سيتخلون عن مهنتهم بسبب العراقيل التي تواجههم والتي من بينها قسوة المناخ وانتشار وباء كورونا الذي ساهم في غلاء الأعلاف وتراجع مبيعات المواشي.

الرباط – بعد أن استعدّ للقاء مصدر رزقه الأسبوعي، عاد راعي الأغنام محمد ولد عمر الغزالي من السوق بمدينة بوعرفة، جنوب شرقي المغرب، خالي الوفاض.

في ظل كساد الأسواق، لم يعد يتمكن راعي الأغنام المغربي من بيع خرافه لتعينه على تحمل مشاق الحياة وشراء العلف لباقي قطيعه الذي يحيا معه حياة الترحال في فيافي الهضاب العليا بالجنوب الشرقي للمغرب.

حال الغزالي لا يختلف عن باقي رعاة الأغنام الذين يتجرعون يوميا مرارة كساد وبوار إنتاجهم، بفعل توالي سنوات الجفاف وقساوة المناخ و تفشي فايروس كورونا الذي أثر على الرعاة الرحل، فمنع تنقلهم من مكان إلى آخر في كل فترات الحجر الصحي حيث الكلأ والمرعى.

وتنصح السلطات في هذه المرحلة الحرجة أن يظل الرحل، الذين يتوفرون على الكلأ، في أماكنهم، ومن لا يتوفر على ذلك يمكنه الحصول على شهادة وفق شروط معينة.

وبدأت أزمة الرعاة مع موسم بيع الأغنام خلال عيد الأضحى الماضي حيث لم تصل المبيعات إلى المستوى المأمول، بالإضافة إلى أن المناسبات الأخرى كالزواج والختان شهدت أيضا تراجعا في رواج تجارة الأغنام.

على مسافة 30 كيلومترا نحو الجنوب من قرية تندرارة (جنوب شرق)، تجنح المركبات يمينا في طرق وعرة ليرى مستقلوها على بعد 10 كيلومترات، خيمة نصبها الغزالي بجوار حقول ترعى فيها قطعان أغنامه.

ورث الغزالي حياة الصحراء والخيام عن أجداده، لكن قساوتها لم تعد تغري نجله البكر الذي يتحين الفرصة لنفضها عن عباءته بحثا عن حياة مختلفة، بعد أن تحولت حياة الرعي والترحال إلى عبء ثقيل على كاهل أصحابه.

قال رشيد عياط، ناشط حقوقي مغربي مهتم بحياة الرعي والترحال، إن "أكثر ما يؤرق مجتمع الرحل إلى جانب الأزمة الاقتصادية، هو المناخ البارد والجاف الذي تعرفه المنطقة"، علما وأن جيل الشباب قد عزف عن هذه المهنة في زمن الإنترنت والتكنولوجيا الحديثة، فأصبحوا يبحثون عن حياة أكثر استقرارا.

وأضاف عياط، أن المنطقة ترتفع عن سطح البحر بحوالي 1500 متر، ما يجعل منها واحدة من المناطق الأشد برودة في المغرب، ما ينعكس سلبا على نمط حياة العاملين في هذه المهنة.

وتابع، أن الأزمة الاقتصادية التي عمقتها تفشي جائحة كورونا خلال أكثر من عام، ضاعفت معاناة رعاة الأغنام وباتت تدفعهم إلى البحث عن بدائل.

لعل من أهم التحديات التي أثرت على نشاط الكسب وتربية الأغنام وحياة الترحال بمحافظة فجيج وبوعرفة، هو توالي سنوات الجفاف التي أدّت إلى تراجع مساحات المراعي التي يعتمد عليها الرحل، والتي تشكل نحو 70 في المئة من مساحة شرقي المغرب.

ووفق أرقام وزارة الفلاحة المغربية، فإن معدل التساقط التراكمي للأمطار شرقي البلاد شهد تراجعا خلال شهر ديسمبر الماضي بنسبة 40 في المئة مقارنة مع الشهر نفسه من عام 2019.

وعادة ما يعني الجفاف بالنسبة إلى الرعاة زيادة في مصاريف الأعلاف المقدمة للقطعان والتي يبلغ سعرها نحو 350 درهما (حوالي 40 دولارا) للقنطار من الشعير، وهو ما يضاعف من معاناتهم ويقضي على آمالهم في الحفاظ على النشاط.

> توالي سنوات الجفاف أدى إلى تراجع مساحات المراعي التي يعتمد عليها الرحّل وزاد الوباء من عراقيل تربية الأغنام

وقال الغزالي إن سلطات بلاده تنفض يدها عن تقديم الدعم إلى مربي الأغنام، ما يضطر معظمهم إلى بيع جزء من القطيع لضمان توفير تكلفة الأعلاف باهظة الثمن.

وأضاف أن تفشي جائحة كورونا قضت على ما تبقى لنا من آمال في تعويض الخسائر، إذ أصبح بيع الأغنام في الأسواق بعد إعادة فتحها أشبه بالحلم.

وبحسب الغزالي، فقد "تراجع ثمن الشاه إلى ما دون ثمن كيس الشعير، إذ بات سعرها لا يتجاوز 200 درهم (حوالي 23 دولارا) بعد أن كان 1300 درهم (حوالي 150 دولارا)".

وتابع قائلا، "الوضع وصل إلى حدّ لا يطاق، والرعاة الصغار فقدوا قطعانهم لسداد القروض المتراكمة".

تجارة راكدة

وقال حميد غزيرو، الذي يمتهن الرعي وتربية الماشية، إن "من بين المشاكل التي ينبغي التغلب عليها في هذه المرحلة قلة الأعلاف، ولاسيما أن أغلب السكان يعتمدون على تربية الماشية لكسب معيشهم اليومي، ولكون قساوة الطقس في فصل الشتاء تحول دون توفير العلف للماشية".

وقال محمد الخريصي، وهو مربي أغنام إن "عدم تسويق المربين لمنتوجهم، كان له أثر على توفير العلف، فأمام التكاليف المتنوعة التي يتحملها المربون، أثقلت كاهلهم عملية العلف التي أضيفت إلى أعبائهم المتراكمة".

وأوضح الخريصي، أن هناك معاناة غير مباشرة على المربين، تتعلق بالتسويق اليومي للأغنام، والذي تأثر بفعل تراجع القدرة الشرائية للمواطن، بسبب تداعيات الجائحة، خاصة وأن الآلاف من العاملين في القطاع غير المنظم فقدوا أو توقفوا عن ممارسة أعمالهم.

ووفق المربي المغربي، إن ما زاد الطينة بلة، هو عدم عودة المغاربة المقيمين بالخارج بكثافة إلى أرض الوطن، والذي كان له أثر كبير أيضا على تسويق الأغنام في العيد والصيف، ويؤكد أن ذلك أدّى إلى تراجع في أسعار الأغنام بحوالي 50 في المئة.

وبالإضافة إلى أزمة الجفاف وتداعيات جائحة كورونا وارتفاع أسعار الأعلاف وتراجع أسعار الماشية، يلتحق عامل سلالة الأغنام بتراكمات معاناة الرحالة ورعاة الماشية بالمغرب.

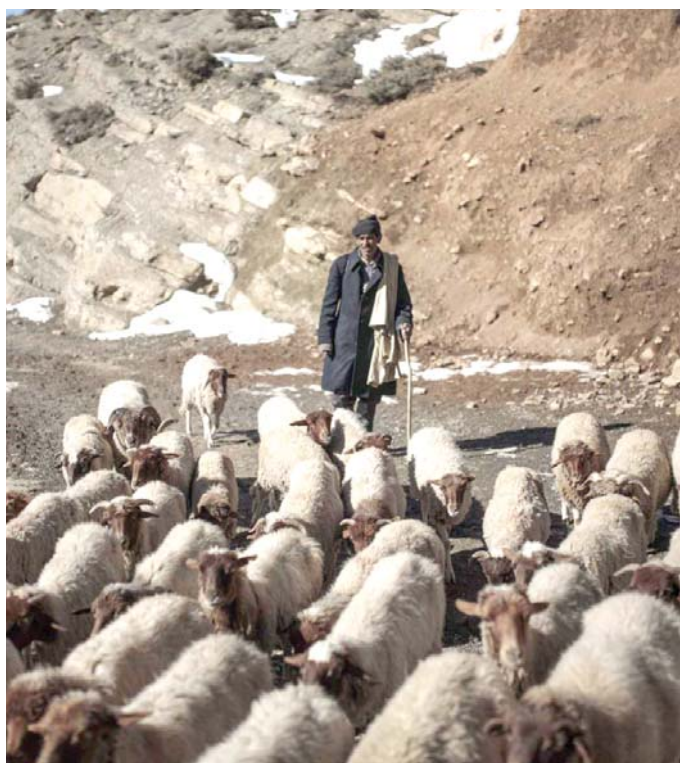

قلة المرعى وغلاء الأعلاف

لقد اشتكى عدة رعاة في فيافي الهضاب العليا، من التمييز بين سلالتين من الأغنام، إحداها محلية تدعى "الردي" أو "الدغمة" لونها يميل إلى البني ولا تتجاوز نسبة من يرعاها سوى 10 في المئة من مجموع القطيع، وعادة ما تحصل على دعم السلطات المحلية. أما السلالة الأخرى فتدعى "البيضاء"، ورغم أنها لدى أغلب الرعاة نظرا إلى غزارة إنتاجها وتأقلمها مع طبيعة المناخ، لكنها لا تحظى بدعم السلطات المغربية، وعادة ما تحرم من البيع في الأسواق الكبرى بالبلاد.

برامج مبتكرة تضيء ليل مناطق نائية في أفريقيا بالطاقة الشمسية

نيروبي – عندما يحلق المسافرون بالطائرات فوق مناطق عديدة من العالم ليلا، وينظرون عبر نوافذها من علياء، يرون أضواء المدن تتلألأ من تحتهم، غير أن المحلقين في أجواء عدد كبير من مناطق القارة الأفريقية يلاحظون أنها لا تزال ترقد في الظلام.

ولا يزال الكثير من سكان القارة الأفريقية محرومين من شبكات الكهرباء، ويشير تقرير لوكالة الطاقة الدولية إلى أن نحو 580 مليونا من سكان أفريقيا، البالغ عددهم 1.3 مليار نسمة لا يجدون سبيلا إلى الطاقة الكهربائية.

وعلى الرغم من وجود مقترحات تزن بالأطنان حول كيفية حل هذه المشكلة، توجد العديد من العقبات التي تعوق تنفيذ هذه المقترحات.

ومن بين العوائق، أن الكثير من الأفارقة يعيشون في مناطق نائية غير كثيفة السكان، ما يجعل مدّ شبكة الكهرباء المركزية إليها مسألة غير مجدية من الناحية الاقتصادية.

وفي هذا الصدد، يقول دانيال بوشيه المشرف على برنامج إتاحة الطاقة بالمؤسسة الألمانية للتعاون الدولي، إنه "لا يبدو أن تزويد المناطق الريفية بشبكات الكهرباء المتفرعة في عدة جهات مسألة ناجحة، والأفضل من ذلك اللجوء إلى الطرق غير المركزية".

وأوضح، أن هذه الطرق تتضمن أنظمة لا تحتاج إلى الربط بشبكة مركزية، وتستخدم بشكل عام مصادر للطاقة المتجددة. فبينما يمكن الحصول على الطاقة من محطات توليد الكهرباء العاملة بالغاز أو الفحم من خط مركزي فقط، فإن الطاقة التي يتم توليدها من الشمس يمكن لأي شخص في أي مكان الحصول عليها.

غير أن الطريق إلى مصادر الطاقة المتجددة في القارة الأفريقية لا يزال طويلا، وجاء بتقرير وكالة الطاقة الدولية أن "أفريقيا التي تتمتع بأعلى الإمكانيات للحصول على الطاقة الشمسية في العالم، أقامت محطات لتوليد 5 جيجاوات فقط من الخلايا الكهروضوئية، ما يعني أقل من نسبة 1 في المئة من إجمالي ما ينتجه العالم من الطاقة الشمسية.

ويرى بوشيه أن أحد الحلول الواعدة هو إقامة شبكات كهربائية صغيرة مرنة، تولد الكهرباء من خلال ألواح للطاقة الشمسية، ويمكن أن تمتد من بضعة منازل إلى قرى بكاملها، ولكن تكلفة الاستثمار في هذه الشبكات عالية، وغالبا ما تكون معدلات الربح منخفضة، والشركات التي ترغب في تشغيل مثل هذه الشبكات لفترات تتراوح بين 15 إلى 20 عاما محدودة.

ويقول بوشيه "السوق تتطور ببطء". ويشير نابين جايهر من شركة "تي.أف.إي" للطاقة الألمانية، إلى مشكلة كبيرة أخرى تتمثل في اختيار القرى المناسبة لإقامة شبكات الكهرباء الصغيرة فيها، ويوضح أن المطورين يفتقرون إلى المعلومات حول أماكن هذه القرى، وما هو حجم الطاقة التي تحتاجها، وما إذا كان بمقدرة السكان سداد تكلفتها.

وابتكرت الشركة الألمانية أداة لإتاحة هذه المعلومات المهمة، مستقاة من الصور التي تلتقطها الأقمار الاصطناعية، وتتعاون الشركة مع عدة جهات من بينها البنك الدولي والحكومة النيجيرية وشركات أخرى للطاقة.

وفي ما يتعلق بالحصول على الكهرباء من الطاقة الشمسية، نجد أن أنظمة توليد الطاقة بالمنازل أكثر سرعة وسهولة في إتاحة الكهرباء مقارنة بالشبكات الصغيرة، حيث إنها وحدات صغيرة يمكن إقامتها على أسطح المنازل، ويمكن لهذه الوحدات وفقا لحجمها أن تشحن هاتفا، أو تشغل جهاز التلفاز أو تولد الطاقة الكافية لاحتياجات المنزل.

وتعرض شركة "موبيسول" للطاقة هذه الأنظمة المنزلية في كل من تنزانيا وكينيا ورواندا، وتوضح الشركة أنه بوضع ألواح الطاقة الشمسية الصغيرة – التي تولد ما يتراوح بين 50 إلى 200 وات من الكهرباء – فوق الأسطح، يستطيع السكان على سبيل المثال أن يوفروا احتياجات متجر يعمل مثلا كمحطة لشحن الهواتف المحمولة، أو كصالون للحلاقة أو سوبر ماركت. ومع ذلك تعدّ هذه الأنظمة محدودة القدرات، ويقول بوشيه إنها "مهمة ولكن قدراتها محدودة في ظل تزايد الطلب على الطاقة".

غير أنه توجد أفكار لتوفير الطاقة، حتى في المناطق النائية وأكثرها فقرا.

فمثلا شركة "ليتل صن" أو "الشمس الصغيرة" ومقرها برلين، والتي شارك الفنان الدنماركي الأيسلندي أولافور إلياسون في تأسيسها، تبيع مصابيح تعمل بالطاقة الشمسية، وكذلك أجهزة شحن بأسعار منخفضة في دول مثل إثيوبيا ونيجيريا.

وهذه المصابيح الصغيرة تلبي اثنين من الاحتياجات الرئيسية للكثير من السكان في أفريقيا، وهما الإضاءة وشحن الهواتف، وفي هذا الصدد يقول فليكس هالواشز رئيس مؤسسة "ليتل صن"، لقد "ظهرت أهمية هذه المصابيح بشكل خاص أثناء جائحة كورونا، حيث اشترى العاملون في القطاع الطبي أجهزة شحن تعمل بالطاقة الشمسية".

ووفقا لما صرح به بوشيه فقد انتشرت الطاقة الشمسية في مختلف أرجاء القارة الأفريقية خلال الأعوام الأخيرة، بعد انخفاض أسعار المكونات اللازمة لتوليدها مثل الألواح.

> أفريقيا المشمسة تنتج أقل من نسبة واحد في المئة من إجمالي ما ينتجه العالم من الطاقة المتجددة

وأتاحت وسائل الدفع عن طريق الهواتف المحمولة للزبائن، شراء مثل هذه المعدات أو الطاقة بشكل مباشر، عن طريق الأقساط حتى لو كان السداد بمبالغ صغيرة للغاية.

ويقول هالواشز إن الطرق غير المركزية لإمداد الطاقة تعد فرصة "للتخلي عن بناء شبكات كهرباء كبيرة على الصعيد الوطني، من أجل إتاحة حصول جميع السكان على إمدادات الطاقة بشكل أكثر كفاءة ومن الممكن أيضا بدرجة أكثر ديمقراطية".

ويعرب هالواشز عن اعتقاده بأن المزيد من الابتكارات ستأتي في غضون الأعوام القليلة المقبلة، وتتعلق بنماذج التكنولوجيا والأساليب التجارية، والتي من شأنها أن تذلل كل الصعوبات التي يعيشها السكان في المناطق النائية من العالم.

شمسنا تضيء ظلمتنا